الرياح المهداج تسكن البلدة كان صوتها المهيب يدوي في الأرجاء يوحي بأن هناك خطبٌ ما ، ضربت الرباح بطرف جلبابها فرفرف كراية بيضاء ، ثبتت كالوتد في مكانها ظل موج أفكارها يروح ويجيء حتى غاصت في ذكرياتها وداهمتا موجةٌ عالية ففاضت دموعها حتى بللت وجنتيها فأغلقت عيناها راجيةً وواضعةً نفسها لتقبل الأ مر الواقع ، لتفتحهما وتنتفضُ وكأن صاعقةً من السماء أصابت جسدها ، جسدها الذي يموج وكأنهُ قارورة من زجاج شهقت وتواثبت دقاتُ قلبها عندما رأتهُ يدخلُ عليها وهو محملٌ على الأكتاف وكان لحضوره وقعٌ في النفس مهيب ، تصفحت وجهَهُ المستدير في وجوم ألقت السلام على روحه الطاهرة في تلعثم وكأنها لم تنطق يوماً حرفاً ، نقشت كل كلمة باح بها لها قبل هذا الوداع في ذاكرتها ، كان رجلاً متوسط القامةكان مشرق العينين على شفته استقرت البسمة الرائعة وجبهة واثقة ورأس متعالي بكبرياء وصدر يرحب بالموت والحياة معا حيث رحاب الله ، قبلتهُ ويداهما ترتجف ،وبعد عناقٍ طويل ، استعادت جلستها التأملية في وجهه الذي يشعُ نوراً ، ومن ثم داهم مخيلتها شريط الذكريات.

١٩٨٨/٢/١٧م

وعندما شقت الشمس صفحة السماء وتلاهُ صوت كرعد ارتج الجميع فرحا عند سماعه ، صوت المولد الجديد زفوه إلى والده ليؤذن بأذنه وقد سماهُ عبد الله تيمناً بالشهيد القائد عبدالله عزام ،لم يكن طفلاً عادياً أبداً فهو لم تلده أمه لأجل أن يهزم ، لم يتعب أبوه لأجل أن يستسلم ، خلق ليترك أثراً ليصنع مجداً ليحقق حلمه وليكون نجما ساطعا في هذه الحياة .

١٩٨٩/١/١٢م

رغم ظلام النسيان الحالك إلا ذكرى هذا الحدث يشع في مخيلتي ، نعم أتذكره لم يكن أبداً في طي النسيان عندما كان طفلاً حينها كان يرتدي ثوباً يصل إلى منتصف ساقه يحمل بيده لعبته وبدأ يطوف ساحة البيت الواسعة فقد مشى خطواته الأولى والخطوة موزونة ،على هونه بدا يمشي خطواته.

١٩٩٣/٨/١٠

أما في هذا الحدث لم تخني ذاكرتي أبداً، إنه اول يوم دراسي له كان بداية سعادتي وأنا أراه يقطع أول الخطوات نحو طريق العلم والتعلم والمعرفة في مدرسة الشريعية في مدينة الخليل .

١٩٩٤/١٢/١م

أصعبُ اللحظات عندما تشعر أنّك غريب مع نفسك ولا تجد تبريراً لذلك، نعم هكذا وجدت نفسي في هذا اليوم الذي لم يكن سوى صاعقة أصابتنا جميعا وفاة الزوج والأب والحبيب والسند نظرت إلى عيني عبدالله كانت عيناه غارقةً بالدموع بدت الكلمات محبوسة في حنجرته لا يقوى لسانه على بوح الوجع ،ومن هنا بدأت رحلة عبدالله انتقل من حياة الطفولة مبكراً ، محاولاً مساعدتي هو وإخوته في سد الثغرات التي خلفها حادث فقدان والدهم .

٢٠٠٦/٧/٢٢

في هذا العام كانت الفرحة تغمر قلبي ، فقد أنهى فلذة كبدي المرحلة الثانوية ، بتقدير جيد جداً ، إلتحق بجامعة البوليتكنك ليدرس هندسة ديكور كان بارعا في الرسم والتصميم كنت لا أشك أبداً في قدراته أو قرارته ، فقد ربيناه أنا ووالده ليصبح رجلاً لم أمل أبدا في تربية أولادنا وإن كان والدهم تركني في منتصف الطريق إلا أنني والحمدالله نجحت في تربيتهم وأنا أفتخر بهم جميعا وبه بشكل خاص .

٢٠٠٩

في هذا العام الذي كثرت الأسئلة فيه عن سبب لمعة عيناي والسعادة التي على ملامحي فأخبرتهم بصوتٍ محتلط بين الضحك والبكاء أن ابني عبدالله أنهى مسيرته التعليمة ، عندما رأيته يعتلي منصة التكريم وهو يرتدي ثوب التخرج كانت لحظة أبت ذاكرتي أن تنسى هذه اللحظة ، لا وبل نقشتها في عقلي وقلبي ، وهي أمنية واحدة طلبتها من الله وبكيت من أجلها وأنا أصلي هي أن أرى عبدالله يكمل مسيرته التعليمية ويقف على هذه المنصة وها هي أمنيتي قد تحققت.

٢٠١٢

أحياناً يكون موت الأحبة أهون كثيراً من بقائهم أحياء بعيدين عنا ، في هذا اليوم أعتقل عبدالله ، أحسست بتلك الفوضى العائمة في داخلي، أسئلة كثيرة تجول في خاطري منها متى سيعود تذكرت ان "العسر بين يسرين ، لا بد أن يعود كنت

أعلم انه توجد امور تفوق قدرتنا احياناً، عندما التقيته في المحكمة كنت أنظر إليه من بعيد في تلك اللحظة شعرت حقاً بالضعف الذي لم أشعر به أبداً ، نظرت إليه وقد كانت نظرة التحدي في عينيه توحي بأن كسرهِ لن يكون بتلك السهولة التي كانوا يتوقعونها يمتلك ملامح حادة كما لو أن استعارها من نسر ، عينان قاسيتان، حاجبان مرسومان بدقة وشارب ثقيل متصل بلحية ثقيلة ، تم الحكم عليه بالسجن٤أشهر، خرجت ولم أستطع أن أحضنه او حتى أمسك بيده خرجت وكانت دقائقٌ من القلق لم أمر بمثلها في حياتي بعد ما غادرت المحكمة ولم أجد نفسي إلا وحيدة.

٢٠١٢

كنت أعد اللحظات والثواني والدقائق والساعات والأيام والأسابيع حتى ألتقي به حتى ألتقي بمقلتي وأنيس الروح لم يكن يطيل الغياب من قبل أظن في هذا الموقف الوضع مختلف ، اليوم ها قد جاء الموعد المنتظر، في هذا اليوم سيطلق سراح عبدالله.

٦:٣٠مساءً

وصل البيت تحديدا في هذه الساعة ، كنت واقفة عند الباب أنتظر دخوله كطفلة تنتظر قدوم أبيها بلهفةٍ ، فتح الباب ركضت إليه شعرت بأن المسافة طويلة رغم أنها لم تكن إلا معظم خطوات عانقته بشدة ، قبَّل يدي فشوكني بلحيته الطويلة ، كانت تفضي عليه شكلاً جميلاً.

- عدني ألا تغيب عني أبداً
- أعلم أنه قد يحزنك عدم وعدي لكي بأن لا أغيب مجدداً ولكن يا أمي قد اعتدت ألا أعد بشيء لا أستطيع تحقيقه
- لقد عانيت كثيرا يا بني وانت خلف القضبان لم أعتد على غيابك يا حبيب أمك.
- حسناً يا امي إن اضطررت إلى الغياب مرة أخرى سأسعى ألا تطول فترة غيابي .... وغير ذلك سأبقى معك للأبد ..
- للأبد يا بني ؟
- نعم سأبقى بجانبك أنت وإخوتي حتى تنتهي سنوات عمري ....

دار هذا الحديث بيننا وأنا مازلت أعانقه وأضمه في حضني .كان حنونا جدا يعطف على إخوته وكأنهم أولاده كان يهتم بتفاصيلنا جميعاً كان لا يقوى على جرح مشاعر أي أحدٍ فينا كان يحب الصغار وخصوصاً أبناء أخواته كان يلاعبهم ويداعبهم

٢٠١٣/١٠/٦

آهٍ .. أيعقل أن أنسى هذا اليوم ، كانت الفرحة ترتسم بشكل جميل على شفتيه ، كان يرتدي بدلة عرسه كان مثل الأمير يتنقل بيننا ويملي علينا الأسئلة تارة يقول : كيف شعري هل هو مرتب وتارة يقول أهذه البدلة لبقتْ عليّ وداهمِني بسرعة يقبل كفي وقد سألني من أنت ؟ ظننته قد جن ، أعاد الجملة من أنت ؟ زرعت الدرب بنقل خطاك ورداً مخملياً

من أنت ؟ أنت التي تتحملني في أسوء حالتي المزاجية بكل بساطة .. أنا أحبك يا أمي احتضنته وبكيت من شدة الفرحة كان يملي عليّ بيتاً شعرياً ، في هذ اليوم أصبح لأبني عبدالله عائلة فقد تزوج ببنت عمه أنا أثق بأنه سيكون نعم الزوج والأب والسند والأخ والأبن حبيبي عبدالله كان جميل جدا وكأن الجمال خلق ليكون له كان نعنوشاً متنعنشاً .

٢٠١٤/١٢/١٥

غردت العصافير وهي تحلق في صفحة السماء في مثل هذا اليوم رزق عبدالله بطفله الأول ، كان كطفل الذي اشترى له والده لعبة جديدة كان يردد طوال هذا اليوم أصبحت أباً ... أباً جيداً سألعب معه وأغني له حتى ينام سأربيه ليصبح رجلاً ..

-أمي ألم تقولي لي ان الاطفال كتبٌ بيضاء ويكبرون ويصبحون وفق ما نكتب على هذه الصفحات .. كنت أتأمله وأنا صامت نعم هذا رجلي المتحمس لأجل طفله الأول كم كان يبدو لطيفا ويعاود الحديث

-نعم سيصبح الأفضل سأعمله الصلاة وأحفظه القرآن سأزرع فيه أجمل القيم والمبادئ

- إنتبه يا بني من يزرع شعيراً لا يقطف كرزاً ، قلتها ممازحاً إياه

-أما أنا يا أمي سأزرع فيه بذرة الخير دائماً

-أرجو ذلك يا بني أدامه لك فخرا وسنداً

٢٠١٥/١١/١١

صباح هذا اليوم كان جميلاً لدرجة أنني لم أستطع نسيانه ، ها هو ذا يقبل عليّ من بعيد ويقبل يدي ورأسي ويقول كلمته المشهورة أدمك الله لنا يا أمي ثم ينطلق إلى عمله وقبل ذلك طلب مني أن أعد له حلوى "الدحدح" إنها المفضلة لديه ، كان يحب عمله ولا يتهاون أبداً في أداء مهامه على اكمل وجه كان يعتبر زملائه في عمله مثل إخوته كانوا يشكلون عائلة رائعة،

إنه الشتاء وهو فصل الحلوى وعبدالله يحب شتى أنواع الحلوى لا انسى ابدا جمعات الشتاء التي كنا نقضيها معاً كانت أوقاتٌ لاتنسى أبداً ولكن اليوم لن تتسنى لنا الفرصة كي نجتمع لأنه قد قال لي أن سينام عند إبن عمه في المشفى إبن عمه واحسرتاه عليه فقد أصيب بجراح خطيرة بسبب بشاعة الاحتلال، السبب ، لأنه يقطف الزيتون ،إنه ظلمٌ يرتدي ثوب العدالة وماذا عساي أن أفعل سوى أن أدعوَّ له ، أما أنا فقد اكتفيت بإعداد الحلوى قبل أن يعود من عمله.

٤:٣٠ مساءً

في مثل هذا التوقيت عاد عبدالله من عمله كالعادة قبّل يدي وجلس إلى جانبي وكنا نتحدث مثلما نفعل دائما وفجاءة عانقني بشدة وقال وهو يهمس في أذني أحبك أمي وأعلم أن شدة حبي لك قليلة جداً فأنت الواحدة والوحيدة التي لن تتغير ولن يبدلها الزمان ، ثم ذهب إلى زوجته وأمسك بإبنه ثم بدأ يداعبه تارة ويغني له تارة أخرى ، وجلسنا معاً تناول أطراف الأحاديث وهو مستمتعٌ في تناول حلواه المفضلة ثم ذهب إلى أخاه وعانقه بشدة ثم طلب من زوجته إحضار غطاء له وحضن إبنه الوحيد ثم خرج

١٢ /٢٠١٥/١١م .... الخميس....

٣:١٠ صباحاً

استيقظت في تمام هذه الساعة فقد راودني كابوس مخيف أطفأت المنبه ونهضت لكي أتوضأ وأصلي قبل أذان الفجر ثم أمسكت القرآن وحال ما بدأت تناهي إلى مسامعي صوت دقاتٍ على الباب الخارجي شاب قلبي من القلق من الذي يطرق الباب في مثل هذه الساعة و زاد صوت الدقات حتى أيقظت جميع من في البيت فتح إبني طلال الباب وإذا بعمه واقفٌ على الباب كانت هنالك دمعةٌ محبوسةً في عينيه وفي صوته غصةً بدت اثناء كلامه

- خيراً يا عماه ... مابك؟؟
- هيا يا بني سنذهب إلى المشفى أخبر أمك لتذهب معنا
- لماذا ماذا حدث هل عزام والبقية بخير ؟؟
- اتصل بي مدير المستشفى وقال ان المستعربين اختطفو عزام ووو....

ثم شعرت بدقات قلبي تقفز من صدري فداهمت حديثهما

- وماذا ياأخي ....

لم يخطر ببالي أن عبدالله أصيب أو حدث له شيء لم أتخيل ولو خيال أن يصيب عبدالله مكروه لم أفكر حتى تفكير بسيط بأن يحدث له شيء.

_وأصيب عبدالله والآن هو في غرفة الإنعاش

انهمرت الدموع من عيني نظرت إلى طلال وإذا بدموعه تسقط واحدة تلو الأخرى، نظرت إلى زوجته إلى أخته وإذا جميعهم كحالي ماذا أفعل أنسقط جميعا لابد من وجود ذالك الشخص الذي نتكأ عليه عندما ننكسر، عبدالله نعم ومن غيره نحني رؤسنا المحملة بالهموم على كتفه ولكن هو ليس هنا أحسست بشيء ينخلع من قلبي انها صدمة بطعم موجع،لم أشعر بمن حولي كاد أن يغمى علي لكن تمالكت نفسي وبقيّ في روحي التي أوشك اليأس أن يتغمدها بصيص أمل ، بأن عبدالله سيعيش سيعود إلى المنزل خرجنا أنا وإبني إلى المشفى، وبقيت زوجته وأخواته في البيت ،انفطرت قلوبهن من القلق عليه ، وصلنا المستشفى وأسرعنا إلى الغرفة التي كانوا ينعشون عبدالله فيها ، لم نلبث هنالك إلا ثوانٍ معدودة وقد جاءت الممرضة تقول أن عبدالله قد استشهد كان من اللحظة التي أصيب بها قد حلقت روحه إلى بارئها ولكنهم

حاول إنعاشه لعله يعود لقد رأينا العديد من جرائم الاحتلال البشعة وهذه كانت احداهن كان كلما ضغط الطبيب على صدره لإنعاشه خرجت الدماء من أذنيه والثقب الذي برأسه باءت جميع المحاولات بالفشل دخلت إليه كنت أتأمله ورحي تتمزق ، للوهلة الأولى ظننته يمازحني وأنا سينهض بعد قليل ويعانقني أو أنني سأستيقظ من هذا الكابوس على صوته وهو يناديني أمي، كانت هنالك ٤ رصاصات واحدة في يده اليمنى والاخرة في يده اليسرى أتعلمون لماذا لأنه لم يقبل على نفسه أن يظل واقفاً هو يرى المستعربين يختطفون ابن عمه فحاول ان يأخذه منهم فأطلقوا عليه رصاصتان في يده ومن المؤكد أنه لم يستسلم فأطلقوا عليه رصاصة في صدره ومن ثم واحدة في رأسه وهي التي أدت إلى وفاته في الحال كما أخبرنا الطبيب ، وبعد عدة دقائق من إعلان وفاته جاءت أخواته إلى المشفى ، ومن ثم عدنا إلى البيت ، دخلت إلى منزل وكان فارغاً مع أنه كان مليء بالناس كان فارغ من صوته من ضحكته من وجوده كنت وحيدة مع أن الجميع كان بجانبي ،رحيلك يمزق قلبي ولا يرحم ضعفي ووهني ومكانك في قلبي لا ولن يملأه أحداً سيبقى فارغاً وفراغك يا بني أوفى الحاضرين .

انتهى شريط الذكريات وعدت إلى واقعي المرير عدت وقبلتك للمرة الأخيرة ها هي قافلة الرحيل تختطفك مني وتحملك الأيادي إلى مثواك الأخير كلما ابتعدت القافلة عني كانت تنزع قلبي كنت اود الصراخ ليرجعوا به إلي ولكن لم استطع حتى دموعي جفت صدمة لم نتوقعها ، كنت أبحث عن صوتك الذي مازال يرن بمسامعي ،الحروف يا بني غابت عني حزناً عليك ولا أدري أي العبارات تكفي لوصف وجعنا وألمنا ومشاعرنا المبعثرة ها هي الأرض تبتلع قطعة من قلبي لازال جرحها غائراً ،يا صاحب الظل العالي والضحكة الدائمة إياك أن تظن أن محبتك ستنتهي برحيلك ، تغيبت عنا يا مهجت فؤادي ولكنك حاضر في أكثر زوايا الفؤاد دفئاً والآن أعيد عليك ما قلته إلي قبل عدة سنين

من أنت ؟ أنت من احبته القلوب وعلى غيابه انفطرت ،أنت يا من أوقدت سيرته نوراً في جوف الظلام، غادرت سفينتك شاطئ الحياة تحت الأرض وأنا أعلم أنها لن تعود لا تقلق يا بني فأنت قد وفيت بوعدك لي عندما قلت لي سأبقى بجانبك حتى تنتهي سنوات عمري وها هي انتهت نعم وودت لو أنني أستطيع أن أزيل من عمري وأضع في عمرك ولكن شيء كهذا لن يحصل، قد فارقت الحياة وتركت لنا وجع السنين نتألم لفقدانك ونحن نراك في كل مكان وزاوية لا عليك يا حبيب أمك فأنت ضيفي الذي لا يغيب، طوبى لروحك الطاهرة يا أغلى من الروح

ولكن وودت ان افعل كما يحب كما يحب عبدالله فهو لا يحب رؤيتي وانا أبكي تمالكت نفسي تناهى إلى مسامعي "(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). أحسست بطمأنينة تسكن قلبي ، نعم عبدالله ذهب إلى بارئه هو في حفظه الآن إنه حيث يشعر بسعادة غامرة هو حيث يجد روحه مطمئنة.

ثم تناهت إلي هذه الآية"وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ" فشددت على جرح قلبي وتحليت بالصبر وسلمت أمري لله وتذكرت قوله تعالى"إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" وأخذت أدعو له بأن يتغمد الله روحه الطاهرة برحمته ويتقبله عنده وأن ألتقي به في الفردوس الأعلى ، وأخيراً عدت أشعر بالصفا .لا تقلق يا بني علي فلتتلقفك أكف الرحمة في ديار الرحمة أخلد إلى حيث خلودك الدائم اظفر بلقاء ربك ذو الرحمة والمغفرة دع لنا شقاء الحياة وامض إلى رحابة السماء إلى نعيم إله الخلق وواهب الحياة وواهب الموت في سواء ، امضي يا شهيد الفجر فلك رحيق الحياة ولنا أكاسير الموت ، هنيئاً لك الشهادة وإلى رحمة الله أبا العزام.